لحظة البدء بالعدوان، وضعت مصداقية السياسة السوفياتية في المنطقة تجاه امتحان عسير فرض على موسكو ان تكشف عن حدود السقف الذي يحكم حركتها في الشرق الاوسط. ولعل المشكلة الاساسية التي واجهتها الدبلوماسية السوفياتية، خلال أيام الحرب، هي التوفيق بين رغبتها القوية في الاحتفاظ بالموقع المؤثّر الذي فرضته لنفسها على خارطة توازنات المنطقة، وبين حرصها الشديد على عدم المخاطرة بدفع الامور الى حافة التصعيد، الذي يمكن ان يؤدي الى الدخول في مواجهة مباشرة مع الولايات المتحدة الاميركية. وهكذا، فان ردود الفعل التي اتخذتها القيادة السوفياتية ازاء التطورات الجارية على ساحات القتال، وامتناعها عن القيام بأي اجراء عملي يذكر من اجل انقاذ سمعتها العسكرية، كانت توحي وكأن موسكو آثرت ان تسلم بهزيمة سلاحها داخل الشرق الاوسط لتجنيب نفسها التوّرط في مواجهة غير محسوبة مع الولايات المتحدة. لكن امتناع موسكو عن القيام بأية مبادرة عملية للتأثير في مجرى الاحداث طرح، على الفور، احتمال ان تضطر الدبلوماسية السوفياتية الى دفع ثمن هذا التردّد من رصيد الموقع الذي بدأت تشغله بالنسبة الى توازنات المنطقة، خصوصاً وان ردّة الفعل العربية على الهزيمة سارعت الى تحميل الاتحاد السوفياتي قسطاً من أوزار ما حصل. وعلى المستويين، الرسمي والشعبي، كانت حملة واسعة من الانتقادات توجّه الى الاتحاد السوفياتي، وتتناول، بشكل خاص، مناوراته السياسية التي سبقت الحرب، ولا سيما ما يتعلق بتدخّله من اجل اقناع مصر بأن لا تكون البادئة باطلاق النار، وتعطف على التشكيك بقدرة السلاح السوفياتي وبالأسباب التي تمنع موسكو من تزويد العرب بسلاح هجومي يمكّن من قلب موازين القوى في المنطقة، لتصل، في النهاية، الى التشكيك بمصداقية الدبلوماسية السوفياتية في المنطقة وبنجاعة استمرار التحالف مع موسكو، بعد ان تركت حليفها الاقليمي وحيداً على ساحة المعركة.

على هذا النحو، بدا وكأن ما بنته الدبلوماسية السوفياتية من نجاحات في المنطقة، على مدى السنوات الماضية، أصبح على وشك ان ينهار دفعة واحدة. وكتعبير عن خيبة الأمل هذه، ارتفع داخل الادارة السوفياتية بعض الاصوات التي تساءلت عمّا اذا كان من المناسب للاتحاد السوفياتي ان يستمر في اداء دوره داخل المنطقة ام ان انعدام التكافؤ الاستراتيجي بين العرب واسرائيل ـ الذي كشفته الحرب ـ أصبح يستدعي التفكير جدياً بأفضل الطرق الملائمة للانسحاب من المنطقة بشكل كامل وتجنّب المغامرة بتعريض السلاح السوفياتي وسمعة موسكو الى نكسة جديدة ؟[١١]. ومع ذلك، فان القيادة السياسية في الاتحاد السوفياتي واصلت مساعيها من أجل عبور هذا القطوع دون التوّرط في مواجهة عسكرية، وفي الوقت عينه دون التفريط بمواقعها في المنطقة. ومن أجل تحقيق هذه المعادلة الصعبة، جهدت موسكو من اجل تسريع عملية نقل المعركة الى جبهة أكثر ملاءمة بالنسبة الى حسابات السياسة السوفياتية، وهي جبهة العمل الدبلوماسي.

وهكذا كثّفت الدبلوماسية السوفياتية نشاطها، بهدف التوصّل الى اتفاق لوقف النار يوقف، بالتالي، تقدم القوات الاسرائيلية داخل الاراضي العربية، وذلك بعد ان اخفقت موسكو في فرض موقفها الذي طالب اسرائيل، في اليوم الاول من الحرب، بأن توقف «عملياتها الحربية» ضد الدول العربية «فوراً ودون شرط»، وان تسحب قواتها الى ما وراء خطوط الهدنة، «باعتبار ذلك أول اجراء مستعجل لتصفية النزاع الحربي»[١٢].

ومع ان القرار الذي صدر عن مجلس الامن الدولي، والذي دعا الى ايقاف فوري لاطلاق النار، دون ان يشير الى العدوان الاسرائيلي ودون ان ينصّ على انسحاب اسرائيل الى مواقع الرابع من حزيران (يونيو)، وأثار شعوراً بالاستياء عند الجانب العربي، فان الاتحاد السوفياتي شرع،